

## العالم الجديد والفوارق بين الطبقات بقلم الأستاذ سيد قطب

خطب مسترايدن في نوتتهام ، يوم ٢٢ يوليه الماضى خطبة طويلة تناولت الحاضر والمستقبل ، ومما جاء فيها خاصا بالعالم الجديد المنشود بعد الحرب ، قوله : ” يجب ألا نصبر مرة أخرى على حالة البطالة ، وعلى الفوارق السحيقة بين الطبقات والتناهى فى الغنى والتناهى فى الفقر ، وحرمان الكثيرين من فرص الحياة “ .

وخطب هذا الرجل العظيم من قبل فى أدنبره فورد فى خطبته : ” لن تذوقوا طعم السلام بدون إصلاح اجتماعى ، وإذا ظهرت فى العالم آثار البطالة وسوء التغذية وهبوط مستوى المعيشة وانتشرت الفاقة بدون علاج مع إمكان علاجها ، فإن أركان السلام تصبح ممرضة للخطر “ .

ومن خلال هذه الفقرات وكثير غيرها مما يلقيه زعماء الأمم فى هذه الفترة ولا سيما مستر روزفلت ومستر تشرشل ، نستطيع أن نبتين سمات العالم الجديد ، ونستطيع أن نلمح أن هذا للعالم الجديد لن يصبر على كثير من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة اليوم . وعلى وجه التخصيص لن يصبر على ” الفوارق السحيقة بين الطبقات “ ، ولن يطبق ” التناهى فى الغنى والتناهى فى الفقر “ ، ولن يهضم ” حرمان الكثيرين من فرص الحياة “ .

ومستر ايدن الذى يندد بفوارق الطبقات ويندد بالتناهى فى الغنى والتناهى فى الفقر ، ويندد بحرمان الكثيرين من فرص الحياة ، هو وزير خارجية الدولة التى سنت ضريبة التركات بنسب ضخمة فقضت بالفعل على الكثير من فوارق الطبقات ، والتي جعلت الضرائب تصاعدية حتى لتباغ فى بعض حالاتها ٩٥ فى المائة فقضت بالفعل على التناهى فى الغنى والتناهى فى الفقر ، والتي جعلت الخدمات الاجتماعية فريضة قومية تصل إلى كل محتاج إليها وتنقل إليه الصحة والعلم فقضت بالفعل على الأسباب التى تحرم الكثيرين من فرص الحياة .

ولكن العالم الجديد يتطلب أكثر مما صنعت انجلترا حتى الآن . وانجلترا صنعت كثيرا جدا ، منه ما ذكرنا ، ومنه ما لم نذكر من مراعاة الجانب الاجتماعى فى كل ضريبة تفرضها وكل قانون تصدره وكل إجراء تهم به ، لالتحق من أنه لا يضر بالطبقات الفقيرة بل يفيدها ، ويحقق التوازن بينها وبين الطبقات الأخرى .

فما شأن مصر إذذن مع العالم الجديد ، إذا كانت انجلترا تجدد نفسها في حاجة إلى إجراءات جديدة لتنسجم مع هذا العالم ؟

مصر التي يتناهى فيها الغنى ويتناهى فيها الفقر إلى درجة يعجز خيال أى انجليزى عن تصورها . مصر التي تبلغ فوارق الطبقات فيها أن يعيش فرد بعشرة آلاف جنيه في الشهر ، ويعيش فرد آخر بجنيه واحد أو بنصف الجنيه . أو بلا شئ ! مصر التي يبلغ فيها المحرومون من فرص الحياة ملايين ، حرموا الصحة وحرموا العلم وحرموا المال : الأسباب الثلاثة للضرورة للنجاح في الحياة .

ما شأن مصر هذه مع العالم الجديد الذي ستجد نفسها فيه بعد الحرب ؟ وكيف تنسجم معه ، وهي التي تزعم لنفسها وللعالم أنها أمة متحضرة ، تتمازج على الزوج وسكان الكهوف في قديم الزمان ،

أست أدري كيف يتصورنا الأجانب المقيمون في مصر ؟ إنهم يختلطون ببعض الأوساط عندنا فيرون أرق ما وصلت اليه الحضارة البشرية ، وأعلى ما تفنن فيه المتاع الإنساني ، ثم يختلطون ببعض الأوساط فيرون أحط ما تهبط اليه الحيوانية ، وأشد ما يصيب الأحياء من حرمان .

إنهم يرون قصورا وأحياء هي قطعة من باريس ، ثم يرون على مقربة منها مباءات ومناقع لا يراها إلا المستكشفون في بلاد الزوج والأمم البدائية الفقيرة .

إنهم يرون السيارات الفخمة والأزياء الراقية وبريق النعمة يخطف الأبصار في الطرقات ، ثم يرون مجوارها الأقدام الحافية القذرة ، والأسمال البالية المهلهلة ، والوجوه الذابذة المريضة ، والعيون الزائنة الرمدة ، واليؤس القاسى الشنيع .

إنهم يرون المتسولين والمشردين والعجزة والمشوهين وذوى الأمراض العفنة والجروح القذرة منتشرين في الطرقات مع الذباب المحيّم والحشرات السارية والقطط الضالة والكلاب الشاردة ، وهم جميعا يمحنون في صناديق القمامة عن فئات الطعام : الآدمى مع القط مع الكلب مع الذبابة مع الحشرة سواء بسواء !



يقول أحد محررى جريدة البلاغ تحت عنوان " ساعات مع وزير الشؤون الاجتماعية " ما يأتى عن معاليه :

" رأى التفاوت بين الطبقات هائلا ، ورأى التوزيع في الثروة سيئا ، ورأى أن المسيطرين على التشريع شركاء في التوزيع ، فأقل محاولة منه لاعادة التوازن إلى الطبقات

يحدث رجة اشتراكية لا يرضاها كثيرون ويكسبه خصومة المشرعين فلا يقر تشريعاته أحد ،  
فماذا يصنع ؟

” رأى أن الحكومة تملك مائة ألف من الفدادين تزرع فعلا ، وأكث من مليون من  
الفدادين يمكن أن تستصلح في أقصر وقت ممكن ، ولو أن كل ” عائلة “ من عائلات القرى  
ممن لا يملكون شيئا منحت خمسة فدادين لاستقلنا فوراً بمشرين ألف أسرة إلى مستوى  
الطبقة الوسطى ، ولانتملنا في خلال سنوات بربع مليون عائلة إلى هذا المستوى ، فكأننا  
نستطيع الآن بمائة الألف من الفدادين أن نمد يد الإنقاذ السريع إلى عشرين ألف أسرة  
وأن ندخل السعادة إلى قلوب مائة ألف من أشقياء المواطنين إذا افترضنا أن متوسط  
الأسرة يدور حول خمسة أفراد . . . فأمر الوزير بوضع تشريع بهذا التوزيع .

وليس من شك أنها براءة من الوزير حيال المشكلة ، وحل موفق من الحلول التي  
تبتكرها البراعة . ولكن هذا الحل نفسه يطلعنا على حقيقة العقبات التي تعترض الوزير  
أو تعترض الدولة ، وتعترض الإصلاح ، تلك الحقيقة هي أن ” المسيطرين على التشريع  
شركاء في التوزيع “ فلا بد من براءة كبراءة الأستاذ عبد الحميد عبد الحق حتى تنفادي  
الاصطدام بهذه العقبة !

ولكن الوطن يريد . والإصلاح الاجتماعي يريد . والاتجاه العالمي كله يريد . فما رأى  
من لا يريدون أن يجيبوا الوطن ، ولا الإصلاح الاجتماعي ، ولا الاتجاه العالمي ؟ لاحتسب  
أنهم يصرون على وضع لا يرضاه الوطن ولا يرضاه العالم .

إن براءة الوزير قد وصلت إلى مشروع يحسن حالة ربع مليون أسرة في أقصى حدوده  
أى مليون من السكان . فإذا تصنع الملايين الأخرى : لابد من مشروعات أخرى في هذا  
السييل ؟

يقول مندوب البلاغ : ” عبد الحميد عبد الحق مؤمن بأن ” الفقر “ هو الدافع إلى  
كل جريمة ، وهو السبب في كل نقص . وحديث ” الفقر “ عنده ” طقطوقة “ لا يمل  
ترديدها “ .

” وهو مؤمن أيضاً بأن الإصلاح وحده لا تنجز ، فلا خير في أن تعالج مرضاً يأكل  
جسم الفلاح من قرون ويلده فيه سوء التغذية ، ثم تتركه جائعاً ليرتد المرض إليه ... الخ “ .

هذا الإيمان ” هذه العقيدة ، هي التي تنقصنا ، فلو آما جميعاً هذا الإيمان لحلت المشكلة  
ولمّا عاد وزير الشؤون الاجتماعية ، يضطر إلى استخدام براعته ، حتى لا يصطدم بعقائد  
اجتماعية بالية ، ويحرص كل فرد على . في يده وما يحقق مصلحته الخاصة .

نريد أن يصبح كل مسؤول "مؤمنا" مثل هذا الإيمان بأن الفقر هو السبب في كل نقص ، وبأن الإصلاح يجب أن يكون وحدة .

نريد هذا الإيمان لنستطيع أن نفنى الطبقات الفقيرة من كل ضريبة وأن نجعل الضرائب تصاعديّة حسب تصاعد الثروة كما تصنع جميع بلاد العالم المتمدن .

نريد هذا الإيمان لنمكن الطبقات العاملة من الحياة الكريمة المعقولة ، فلا تكون لهم شكوى متجددة يضطر الوزير أن يخف إليها بنفسه بين الحين والحين .

نريد هذا الإيمان لتتمكن من فرض ضرائب إضافية للإصلاح الاجتماعي نحى بها الأطفال من التشميد والفتيات من البناء والمرضى والعجزة والمشوهين من التسول في الطرقات .

نريد هذا الإيمان لننقل الريف المصرى إلى بيئة تصلح للآدميين ، ونوفر لاربيين من الضروريات ما توفر مثله للجوانات والآلات .



ريد هذا الإيمان لتكون آدميين ، ولنعيش مع العالم الجديد في القرن العشرين .

وليس المطلوب أن تشعل المساواة جميع الناس ، فذلك مستوى لم تصل إليه البشرية بعد ولا تصلح به أوضاعها قبل أن يأتى مواعده في عالم السماء .

إنما المطلوب هو ما يعبر عنه مستر إيدن "بعدم الحرمان من فرص الحياة". المطلوب أن يوضع سلاح الجهاد في أيدي جميع الأفراد ، ثم يتركوا يتنافسون بمواجهتهم فيملو من يملو [ويهبط من يهبط ، ولكن بعد أن توجد الفرصة للجميع بلا محاباة .

من حق كل فرد في الأمة أن يأكل من أى طريق ، وكل وضع اقتصادى أو اجتماعى يحرم بعض الأفراد من الطعام الضرورى الذى يقيم الأود ويحفظ الصحة هو وضع باطل أو فاسد ، يجب أن يعالج كيفما كانت النتائج والأحوال ، فلن يوجد وضع أسوأ ولا أفسد من مييت آدمى بلا طعام .

ومن حق كل فرد في الأمة أن يعمل فإذا لم يجد عملا مع رغبته فيه وقدرته عليه ، فيجب أن يجد موردا يأكل منه . إن الجوع جريمة لا ينبغي أن يقترفها أحد ، ولا يجوز أن يكره المجتمع عليها أحدا ، وإلا فهو مجتمع مجرم يستحق العقاب .

ومن حق كل فرد في الأمة أن ينال نصيبا معينا من العلم ، لأن العلم أحد الأسلحة للصراع في الحياة ، كما أن من حق كل فرد أن ينال نصيبا معينا من صحة الجسم للسبب نفسه . وكل وضع اقتصادى أو اجتماعى يحرم فردا واحدا من العلم الضرورى ومن الصحة الضرورية لأى سبب من الأسباب ، فهو وضع فاسد يجب تغييره بلا إمهال .

هذه هي الخطوط الرئيسية في بناء المجتمعات ، أما التفاصيل فليس هذا مكانها .  
ينبغي أن تعمر كل نفس عقيدة اجتماعية واحدة هي أنه لا يجوز أن يجتمع الغنى الفاحش  
والفقر الفاحش على هذه الصورة في وطن واحد بحال من الأحوال . لا يجوز أن يجوع فرد  
واحد لأنه لا يجد عملا أو لأنه يعمل ثم ينقص أجره عن الطعام والسكنى واللباس . لا يجوز  
أن يكون هناك طفل واحد مشرد ، ولا عاجز واحد ، تسول ، ولا فتاة تباع عرضها لتشتري  
الطعام !

ينبغي أن تعمر كل نفس عقيدة اجتماعية واحدة : هي أنه لا يجوز أن يكون حى المدايع  
وتلال زينهم وعرب اليسار ، قطعة من القاهرة التي تضم المعادى وجاردن سبى والزمالك .  
لا يجوز أن تكون القاهرة عاصمة لهذا الريف المصرى الذى نعرفه ونشفق من تصويره .  
لا يجوز أن تكون فنادق ومطاعم ومشارب الكونتنتال وشبرد وجروبى وسان جيمس  
والبارزيانا في العاصمة التي ينبش الآدميون فيها مع القطط والكلاب والصراصير والذباب  
صناديق القمامة على صرأى من الناس !

ينبغي أن تعمر كل نفس عقيدة اجتماعية واحدة : هي أنه يجوز أن يكون هناك غنى  
وأن يكون هناك فقر ، ولكن لا ينبغي أن يصل الفقر إلى هذا الدرك السحيق ، الذى  
يطلق الأطفال المشردين والعجزة المشوهين ، والفتيات المعرضات للفتنة ، جياعا عرايا  
في الطرقات يتسولون !

أما الوسائل فتختلف فيما وجهات النظر ، ويسلك إليها من يريد أكثر من طريق .

سيد قطب